التأليف والنشر في عُمان

• أحمد الفلاحي

التأليف والنشر في عمان موضوع يتألف من شقين أثنين، ولن نتوسع في الأول كثيراً لأن هدفنا الأكبر هو التحدث عن النشر وحركة الطباعة الحديثة، بيد أن ذلك لا يجعلنا نغفل التأليف باعتباره الهدف الذي وجدت الطباعة من أجله. ولكن الحديث عن المؤلفات في عمان يطول كثيراً لو شئنا الدقة والإستقصاء، غير اننا سنحاول أن نلم بذلك إلماماً سريعاً قبل أن نصل إلى الطباعة والمطبوعات، وهو الموضوع الذي نقصده في هذه العجالة بالأساس، والتأليف في عمان قديم للغاية، وأقدم مؤلف عماني يذكره المؤرخون العمانيون هو كتاب الامام أبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي المسمّى «الديوان» في الحديث والفقه، وهو كتاب قد ضاع ولم يعثر عليه حتى الآن، و يقال إنه من المطولات و يتألف من عدة أجزاء. وربما يمكن القول أن هذا الكتاب هو أول تأليف اسلامي حيث أن صاحبه الإمام جابر قد عاش كما هو معروف في الفترة من ١٨هـ إلى ٩٣هـ على أرجح الأقوال وهو من كبار أئمة التابعين. ومن أقدم المؤلفات العمانية أيضا كتاب «الجامع الصحيح» في الحديث للإمام الربيع بن حبيب الأزدي اشتمل على أكثر من خمسمائة حديث، ومؤلفه من أئمة الحديث في القرن الثاني الهجري و يعتبر من تابعي التابعين. وكتاب الإمام محمد بن محبوب بن الرحيل القرشي البالغ سبعين مجلداً في الفقه. ومؤلفه من أعلام القرن الثاني الهجري. وكتاب «الخزانه» وهو لنجل هذا الإمام الشيخ بشير بن محمد بن محبوب وعدد مجلداته سبعون. وهو في الفقه أيضاً وما تزال نسخ منه موجودة في عمان مخطوطة، وهناك في القرن الخامس كتاب «بيان الشرع» من ثلاثة وسبعين مجلدا. وكتاب «الضّيا» للعوتبي صاحب كتاب «الانساب» من ٢٤ مجلداً. وفي القرون التي تلت ذلك من أشهر المطولات كتاب «الكفايه» للشيخ الكندي ٥١ مجلداً وكتاب «التاج» لعثمان بن ابي عبد الله ٥١ مجلداً، وكتاب «المصنف» ٤١ مجلداً، وكتاب منهاج الطالبين ٢١ مجلداً للشيخ خميس بن سعيد الشقصي، مؤسس دولة اليعاربه الشهيرة. ومن أشهر المطولات من كتب المتأخرين «قاموس الشريعة» للعلامة جميل بن خميس السعدي من علماء القرن الثاني عشر وهذا الكتاب من أطول الكتب العمانية فيما علمنا حيث أن مجلداته قد بلغت ٩٠ مجلداً. ولا تزال نسخ كثيرة منه موجودة في عدد من المكتبات بعمان وخارجها وقد بدأت وزارة التراث العمانية في طباعته وظهرت منه عدة مجلدات. كما فعلت بالنسبة لـ «المنهاج» و الـ «المصنف» و «بيان الشرع» و «القاموس» وغيرها من المطولات. وقد أشرنا إلى هذه الكتب لشهرتها وكبرها وإلا فان هناك غيرها المئات في مختلف الفنون العلمية مما كتبه العمانيون منذ القرن الأول الهجري وإلى اليوم. وأغلبها قد جمعت الآن بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة ومنها ماهو موجود في المكتبات الخاصة. ولكل عالم من العلماء العمانيين تقريباً — على كثرتهم في مختلف العصور — مؤلفاته الخاصة به التي غالباً ما تكون متنوعة ومتعدده ومنها مايكون مطولاً يشتمل على عشرات المجلدات، كما أشرنا قبل قليل. ومنهم المكثر في التأليف مثل العلامة نور الدين السالمي أحد العلماء المتأخرين ١٢٨٦ — ١٣٣٢هـ فقد بلغت مؤلفاته فوق الثلاثين في اللغة والتاريخ والأدب والفقه والحديث، ومنها ما يتألف من مجلدات عدة. وكذلك العلامة عامر بن خميس المالكي والعلامة خلفان بن جميل السيابي من المتأخرين وابن رزيق الذي ترجمت مؤلفاته التاريخية إلى لغات أخرى غير العربية، وما يزال القضاة والعلماء والأساتذة والأدباء يؤلفون و يكتبون ومن أبرز الكتاب المعاصرين أستاذنا المغفور له عبد الله الطائي رحمه الله الذي له العديد من الدراسات والروايات والدواوين. والشيخ القاضي سالم بن حمود السيابي الذي تصل مؤلفاته إلى الأربعين مؤلفاً في التاريخ والفقه وعلوم الأدب واللغة ومايزال إلى الآن يواصل الكتابة والتأليف وكذلك

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

• من أدباء عمان، يرأس تحرير مجلة الغدير و يعمل ملحقاً ثقافياً لسلطنة عمان في دولة البحرين

الشيخ الكبير محمد بن عبد الله السالمي أحد أشهر علماء عمان ورجالاتها اليوم، والشيخ القاضي سعيد بن خلف الخروصي والشيخ القاضي محمد بن شامس البطاشي والشيخ الأديب الكبير عبد الله بن علي الخليلي والكثيرون غيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم بأسمائهم لهم مؤلفات وما يزالون يؤلفون.

ولنعد الآن إلى الطباعة والنشر وهو الموضوع الذي قصدناه منذ البداية. ولو أردنا أن نحدد بالدقة متى عرفت الكتب العمانية سبيلها إلى الطبع فربما استطعنا القول أن ذلك يعود إلى النصف الأول من القرن الماضي حيث بدأ بعض التجار والموسرين بإرسال الكتب إلى الهند وإلى مصر لتطبع على نفقتهم، ثم تأسست المطبعة السلطانية في جزيرة زنجبار ــ شرق افريقيا ــ في عهد السلطان برغش بن سعيد بن سلطان البوسعيدي ١٢٥٢ ــ ١٣٠٥هـ وكانت هذه الجزيرة يومئذ ولاية عمانية و يسكنها الألوف من العمانيين الذين هاجروا إليها من عمان. وطبعت هذه المطبعة عشرات من الكتب العمانية. ثم تواصل بعد ذلك إرسال الكتب التي تؤلف في عمان لطباعتها في الخارج في القاهرة وبيروت ثم دمشق وعمان والكويت.. وأما الصحافة فلم تنشأ في عمان نفسها صحافة إلا أن العمانيين المهاجرين إلى «زنجبار» قد أنشأوا هناك صحفاً منها «الفلق» و «النهضة» وأخرى غيرها لا تحضرني أسماؤها الآن. وقد كان من أبرز رؤساء التحرير لتلك الصحف العمانية الناشئة في المهجر رجال من أمثال الشيخ الأديب أحمد بن حمدون الحارثي والشيخ الخطيب البليغ المعروف بوطنيته هاشل بن راشد المسكري والشيخ عبد الله بن حمود الحارثي. كما كان يكتب فيها الكثيرون من أدباء عمان وكتابها سواء ممن كانوا بزنجبار أو أولئك المقيمين في عمان. كما كان بعضهم ينشر أشعاره وكتاباته في صحف عربية أخرى كـ«المؤيد» القاهرية و «المنهاج» و «الأسد الاسلامي» اللتين كانتا تصدران في مصر أيضا. ومجلة «الكويت» التي كانت تصدر في الكويت. و بعضهم يرسل نتاجه إلى صحف ومجلات كانت تصدر في الجزائر. وعلى كل حال فلقد كان هؤلاء قلة من الخاصة الذين اطلعوا على الثقافة الحديثة وتشربوا بالنهضة الفكرية المعاصرة التي كانت مزدهرة في مصر في أواخر القرن الماضي و بدايات هذا القرن. أما الأغلبية فقد كانوا لا يعتنون بالصحافة والنشر فيها ولا يهتمون بمتابعتها فهم يرون ذلك مضيعة للوقت في أمور لا فائدة منها. وكان همهم نشر العلم بالطريقة التقليدية عبر حلقات الدرس في المساجد وفي المدارس المخصصة لذلك، والتي كانت منتشرة في أغلب المدن العمانية حيث كل شيخ له مدرسته أو حلقته في مدينته أو قريته يدرس فيها علوم اللغة والفقه ونحو ذلك. وكانت عاصمة البلاد الداخلية «نزوي» التي كانت مركز العلم والفكر وبها كبار العلماء وصفوة المتعلمين، لا ترد إليها الصحف ولا يكاد المتعلمون يعلمون من أمر الصحافة شيئاً. ولعل بعض مشايخهم يراها بدعة تلهي عن التعليم والتحصيل فمن ثم يحذر من الاهتمام بها. أما عاصمة البلاد الساحلية «مسقط» فيختلف الأمر فيها حيث كانت الصحف تصل إليها وكان الأدباء والمتعلمون يهتمون بقراءة الصحافة و ينشطون لمتابعة ما يكتب فيها، و بعضهم كان يرسل إليها لتنشر له بعض أشعاره أو أفكاره.

وفي أواخر الخمسينات و بداية الستينات بدأ اهتمام الناس في عمان بالصحافة يزداد فقد توسعت مدارك الناس وتطور وعيهم وثقافتهم بحكم خروجهم من البلاد إلى مختلف الأقطار العربية الشقيقة والتحاقهم بالمدارس والجامعات ومنهم من وجد في نفسه القدرة على الكتابة وأخذ ينشر في الصحافة العربية. وقد تدفقت على مسقط التي غدت عاصمة لعمان كلها منذ أواخر الخمسينات الصحف العربية بمختلف اتجاهاتها من القاهرة و بيروت والكويت. وأصبحت الصحافة تلاقي في عمان سوقاً رائجة وتجد القارىء المهتم الذي يتابعها مثلما تجده في أي بلد عربي آخر..

ولكن صدور الصحافة المحلية وتأسيس المطابع أمر ظلت عمان لا تعرفه حتى عام ١٩٧٠م حيث كانت البلاد كما يعلم الكل مغلقة على نفسها وليس بها أي شيء من وسائل الحضارة الحديثة على الإطلاق، فلا كهرباء ولا طرق ولا موانىء حديثة ولا مطارات ولا مدارس ولا مستشفيات ولا إذاعة ولا تلفزيون ولا صحافة ولا أي شيء على الإطلاق. فكل شيء هنا كان كما كان عليه منذ مئات السنين.

وعندما بدأ العهد الجديد وفتحت منافذ الحضارة الحديثة وعاد ألوف المهاجرين الذين خرجوا هرباً من الوضع الأليم وسعياً وراء الرزق والعلم بدأت منذ ذلك الحين الحياة الحديثة في عمان بكل ما تحمله من معنى. وأنشئت الوزارات ونظمت المؤسسات وفق

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأنظمة الحديثة. وازدهرت التجارة والبناء والعمران في كل مكان. وظهرت الصحافة والطباعة مع ظهور هذه النهضة الحديثة شأنها شأن غيرها من وسائل التطور وضرورات الحياة المعاصرة.

وكانت أول صحيفة صدرت هي صحيفة «الوطن» التي أصدرها المغفور له الأستاذ نصر بن محمد الطائي شقيق الشاعر البحاثة الأديب المعروف عبد الله الطائي وكان ذلك في بداية عام ١٩٧١ وهي صحيفة يومية تصدر مؤقتاً أسبوعية، ثم صدرت جريدة «عمان» عن وزارة الاعلام بعد ذلك وقد أصبحت الآن صحيفة يومية ولها مطابعها الخاصة بها. وكانت هذه أول مطبعة حديثة تنشأ في عمان (إذا استثنينا المطبعة الحكومية وكانت مطبعة صغيرة للغاية من المبالغة اطلاق اسم مطبعة عليها وكانت لا تطبع سوى الأوراق الحكومية الرسمية) وبعد ذلك أنشأ سعيد السمحان الكثيري مطبعة العقيدة وعنها أصدر مجلته الأسبوعية «العقيده» ثم توالت المجلات والصحف حتى أصبحت اليوم تربو على الخمس عشرة مجلة وصحيفة.

«النهضة» مجلة أسبوعية سياسية عامه

«الأضواء» مجلة أسبوعية اقتصادية

«الأسرة» مجلة أسبوعية اجتماعية

«التجاري» مجلة دورية اقتصادية

«العمانيه» مجلة شهرية نسائية تصدر عن جمعية المرأة العمانيه.

«الغدير» مجلة شهرية ثقافية عامة.

«الموارد الطبيعية» مجلة شهرية تخصصية في مجالات الزراعة والنفط والثروات المعدنية والحيوانية والطبيعية.

«ابزيرفر عمان» يومية باللغة الانجليزية

«عمان نيوز» أسبوعية باللغة الانجليزية

بالإضافة إلى مجلات أخرى تخصصية واحدة تصدر شهرياً عن القوات المسلحة العمانية «جند عمان» وأخرى شهرية أيضا تصدر عن الشرطة «مجلة الشرطة» وكلاهما عسكرية، تركزان على الثقافة العسكرية ولكنهما أيضا تتسعان لجوانب أخرى من الثقافة الأدبية والفكرية والدينية والتاريخية والتربوية. و «أخبار شركتنا» وتصدر شهرية عن شركة النفط العمانية و «المركزي» وتصدر عن البنك المركزي العماني. وهناك نشرات أخرى كثيرة شهرية ونصف شهرية تصدر عن مؤسسات وجهات مختلفة.

هذا عن الصحافة فماذا عن الطباعة. عندما فكر الأستاذ المرحوم نصر الطائي في إصدار صحيفة «الوطن» وهي كما قلنا أول صحيفة في التاريخ تصدر في عمان. لم يجد أمامه وسيلة سوى التوجه لبيروت لطباعتها هناك بسبب عدم وجود المطابع في عمان وظلت الوطن تطبع لفترة في لبنان ثم انتقلت طباعتها إلى الكويت بحكم القرب إلى أن توفرت الطباعة في عمان. وأول مطبعة أنشئت في عمان هي مطبعة وزارة الاعلام التي صدرت عنها جريدة «عمان» ولكن امكانيات هذه المطبعة لم تكن تسمح لها بطباعة أي شيء آخر غير الجريدة التي أنشئت من أجلها. وجاءت مطبعة «دار العقيدة» كأول مطبعة حديثة متطورة متكاملة بها امكانيات لطباعة الكتب والصحف والمجلات والقيام بجميع الأعمال التي تقوم بها المطابع الحديثة. ثم تعددت المطابع بعد ذلك فظهرت «مطبعة مزون» و «المطابع العالمية» و «المطبعة الشرقية» و «مطبعة الباطنة» و «مطابع الألوان» وكلها مطابع حديثة مزودة بكل الوسائل التقنية. وتصدر منها اليوم عشرات الكتب والنشرات بالاضافة إلى كتب المناهج التعليمية وغير ذلك من المطبوعات كما تطبع في هذه المطابع جميع المجلات والصحف التي ذكرناها آنفاً عدا جريدة «عمان» وشقيقتها الانجليزية «ابزيرفر عمان» اللتين تطبعان في مطابعها الخاصة بها. ومجلة «العقيدة» التي تطبع بمطبعتها. وأغلب تلك المجلات والصحف تطبع في «المطابع العالمية» لإمكانياتها الحديثة الجيدة. كما تطبع بعض المجلات في مطبعة مزون وبعضها في مطابع أخرى من التي ذكرناها. وليست هناك حتى الآن دور نشر تقوم بنشر الكتاب أو المطبوعات، ولكن هناك مكتبة صغيرة تسمى «مكتبة الإستقامة» تقوم أحياناً بطباعة بعض الكتب على نفقتها سواء في داخل البلاد أو خارجها غير أن عبء النشر مايزال يقع كله على الجهات الحكومية الرسمية وبالتحديد «وزارة التراث القومي والثقافة» التي ألقيت عليها مسؤولية طباعة المخطوطات واخراجها للناس. وقد قامت هذه الوزارة بجهد مشكور في هذا السبيل حيث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبعت منذ انشائها حتى الآن ما يزيد عن مائة كتاب. ومنها بعض المطولات التي أشرنا إليها في بداية حديثنا التى ما تزال أجزاؤها تصدر تباعاً. كما قامت الوزارة بترجمة العديد من الكتب الهامة المتعلقة بتاريخ عمان ومنطقة الخليج وطباعتها. ومن أبرز تلك الكتب «بريطانيا والخليج» وهو كتاب يتألف من مجلدين كبيرين وكتاب «الخليج بلدانه وقبائله» وكتب عدة غير هذين مما كتبه المستشرقون والرحالة الغربيون الذين زاروا المنطقة وكتبوا عنها. وأقامت الوزارة ندوة للتاريخ العماني عام ١٩٨٠ دعي إليها أكثر من ٥٠ باحثاً وأستاذاً من مختلف الجامعات العربية والعالمية ومؤسسات البحث العلمي من ذوي الاختصاص في التاريخ وبخاصة في تاريخ عمان والخليج. وقد ألقيت في تلك الندوة التى استمرت أسبوعين العديد من المحاضرات والدراسات قامت الوزارة بجمعها وترجمة غير العربي منها واصدارها في مجموع تحت عنوان «حصاد ندوة الدراسات العمانية» صدر منه حتى الآن ثمانية مجلدات ضخمة وماتزال أجزاء أخرى منه تحت الطبع وهو مجموع قيم جداً. وبهذا نرى أن وزارة التراث القومي والثقافة قائمة بجهد كبير في مجال الطباعة والنشر في عمان. وتقوم وزارة الاعلام أيضا بطباعة بعض الكتب أحياناً بالإضافة إلى المطبوعات الإعلامية التي تعرف بالسلطنة وتاريخها وتراثها وطبيعتها وموقعها بين دول العالم ونهضتها الحاضرة. كما تقوم جهات أخرى مثل وزارة التربية والتعليم و وزارة الداخلية و وزارة الشؤون الإجتماعية ودائرة الإحصاءات الوطنية ومجلس التخطيط الأعلى ووزارة الزراعة و وزارة النفط والمجلس الأعلى للشباب و بعض الأندية بإصدار كتب ودراسات علمية واقتصادية واجتماعية وإحصائية متخصصة كل جهة في نطاق اختصاصها.

تلك هي لمحة سريعة عن النشر والطباعة في عمان ولكن قبل أن ننهي هذه المقالة اليسيرة لابد من التوقف مع مشكلة تواجه الكتاب العماني والمطبوعة العمانية تلك هي مشكلة التوزيع والتسويق فما يزال الكتاب العماني مع الأسف غير موجود في المكتبات وغير متوفر للراغبين فيه ولاشك أن هناك مشكلة عربية عامة يشكو منها الجميع، ولكنها في عمان ربما أكثر نظراً لحداثة التجربة هنا ولكوننا مانزال في بداية الطريق. ولاشك ان الأمر يحتاج إلى جهود كبيرة لتسويق المطبوعات العمانية وطرحها أمام القارىء العربي.

ومن المشكلات التى تواجه المؤلف العماني أيضا ارتفاع تكلفة الطباعة بصورة لا يستطيعها فيظل كتابه حبيس الأدراج أو أنه يخرج به إلى الخارج ولكن ذلك أيضا يكلفه الكثير من الجهد والوقت و يؤثر أحياناً على عمله ومصدر رزقه. فهو إما أن يظل يتابع دار النشر ويحثها و يصحح الأخطاء وذلك يأخذ من الوقت الكثير وإما أن يعود إلى بلده و يترك الكتاب ليصدر مليئاً بالأخطاء والأغلاط الفاحشة وذلك بالإضافة إلى ما تكلفه سفراته وإقامته في بلد النشر وما يكلفه نقل الكتاب إلى موطنه أو إلى أسواق عربية أخرى من تكاليف ليست هينة. ثم هناك مشكلة التسويق فمن يسوق الكتاب، وليست هناك شركات متخصصة للقيام بهذا العمل. والمكتبات في عمان ماتزال قليلة وهي مؤسسات تجارية لا تهمها الثقافة بقدر ما يهمها الكسب وهي لا تعنى بالكتاب العماني قدر اعتنائها بالكتاب المستورد فالكتاب العماني غالباً لا يعطي من الربح إلا القليل حيث يباع لصاحبه الذي يكون قد كلفه الكثير فلا يتجاسر أن يبيعه إلا بقيمة لا ترتفع كثيراً عن تكلفته و بذلك فلا تكسب المكتبة منه إلا شيئاً يسيراً بخلاف الكتاب المستورد من الخارج فهو يصل للمكتبة بسعر رخيص نسبيا وهو مطلوب ولابأس من رفع سعره إلى الضعف ثم إن المكتبة تبيعه لصالحها هي لا لصالح المؤلف وتنال منه الربح الكثير الذي لا يقارن أبداً بما يجنيه من بيع الكتاب المحلي. ولاشك أن هناك الكثير من العوائق والعقبات التي تواجه انتشار الكتاب العماني وتمدده على الساحة الخليجية والعربية عامة. وإن كنت أعلم أن المشكلة ليست مشكلة الكتاب العماني وحده بل هي مشكلة الكتاب العربي بصورة عامة وهي شكوى المثقفين العرب في كل مكان.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com